

في مجال الإنتاج والبيت

«الحقيقة» كما تريدها الإمبراطورية!

تحديداً، مع إهمال تام للإطار العام الذي سعد فيه الرجل، وهو الحرب القذرة التي شنتها الإمبراطورية الأميركية على شعوب أميركا اللاتينية طوال عقود الحرب الباردة، وتسببت في مقتل ملايين البشر بحجة مواجهة المد الشيوعي في الحديقة الخلفية لواشنطن. الترويج المخدرات في السوق الأميركية، موظفة العوائد المجزية منها لتسليح مقاتلي «الحرية» وتدريب فرق الموت وتنظيم انقلابات اليمين المتطرف في كل دول القارة الجنوبية من دون استثناء. في المسلسلات الأجنبية، شرّعت «نتفليكس» البوابة لتقديم وجهة النظر الإسرائيلية عن القضية الفلسطينية من خلال توزيع وإنتاج الأعمال الدرامية الإسرائيلية عبر العالم كله. هناك الآن مسلسل عن بطولات الموساد الإسرائيلي (موساد 101) وآخر عن إنتصارات الشين بيت (فوضى). وكلها تقدّم الإسرائيلي والفلسطيني على نسق ثنائية

لندن - سعيد محمد

خلال عقد واحد فقط، غيّرت «نتفليكس» ثقافة تلقي المستهلكين في الغرب للأعمال السينمائية والتلفزيونية، ومثلت أكبر تغيير نوعي في فضاء صناعة الصورة في العالم. فالشبكة التي تملك الآن أكثر من مئة مليون مشترك (نصفهم في الولايات المتحدة) وفي جعبتها خطط فعالة للوصول إلى 125 دولة على الأقل خلال عامين، بدأت في سحب البساط من محطات التلفزيون الكلاسيكي، وتسببت في خسائر تقدّر بملايين الدولارات لدور السينما العامة، وقضت تقريباً على صناعة توزيع الاشرطة السينمائية وتاجيرها. أطلقت «نتفليكس» أيضاً نموذج أعمال جديداً لتوزيع الأعمال الفنية والسينمائية، ما لبثت أن تبعتها فيه شركات أخرى مثل «هولو»، و«أمازون»، و«إتش بي» وغيرها، فيما دفعت منتجين كباراً مثل «هيئة الإذاعة البريطانية» إلى إعادة النظر بطريقة الوصول إلى المستهلكين، فقدمت بديلاً موازياً من خلال خدماتها الخاصة على الإنترنت، وحوّلت بعض قنواتها الرئيسية إلى البث عبر الشبكة العنكبوتية فقط.

لكن ثورة «نتفليكس» هذه لم تقتصر على توزيع وعرض منتجات الصورة، بل انتقلت إلى ملعب الإنتاج نفسه، مقدّمة مجموعة من أعمال درامية سلسلة هامة، عرضت حصرياً عبر منصتها، ثم أفلام وثائقية، وأخيراً أفلام درامية على نسق سينمائي تسببت في قلق بالغ في أجواء صناعة السينما، سواء في هوليوود أو عبر البحار - في أوروبا الغربية وبالذات في فرنسا - من تغيير «ثوري» في منظومة الإنتاج ككلها، تقوده هذه الشركة الصغيرة ذات الطموحات الهائلة. مثلاً، ستنتفك هذا العام أكثر من 6 مليارات على شراء المواد المصوّرة وإنتاجها، شركة - إن استمرت الاتجاهات الحالية - ستنتهي بشكل أو بآخر إلى هيمنة ولو جزئية على صناعة الصورة عالمياً.

كل هذه التحوّلات الثورية في صناعة الصورة وتوزيعها واستهلاكها لم تمس قيد أنملة المحتوى الثقافي الكلي للمنتج الأميركي المصنوع (وما يقوم مقامه من إنتاجات بريطانية أو إسرائيلية وغيرها) الذي تقدمه «نتفليكس»، أو أنماط الخطاب الرأسمالي - الأميركي التي تحكمه أو نسق «للحقيقة» التي تريد مؤسسة الهيمنة في الإمبراطورية من رعاياها أن يعتنقوها.

ف«نتفليكس» في النهاية هي ابنة شرعية للمشروع الرأسمالي الغربي، ومن غير المتوقع أبداً أن تنطق عن الهوى. بل يمكن القول إنها تتعمد، وربما بشكل مبالغ فيه، تقديم أوراق اعتمادها للمؤسسة الأميركية من خلال ترويج مكثف لجرعات البروباغندا الغربية والرواية الأميركية للتاريخ، ورؤية الإمبراطورية لشكل المستقبل الممكن.

خذ مثلاً مسلسل «ناركوز»، المسلسل المؤثر عن حياة بارون المخدرات الكولومبي بابلو إسكوبار الذي قتلته الاستخبارات المركزية الأميركية. سردت حياة الرجل في المسلسل من وجهة نظر الاستخبارات



ويل سميث ولا في الخيال

ضمن أجواء من الخيال العلمي والفانتازيا، يؤدي الممثل الأميركي ويل سميث (1968) في فيلم Bright دور «وارد». ضابط في شرطة مدينة لوس أنجلوس في ولاية كاليفورنيا الأميركية، يتعاون مع شرطي من جنس آخر يُدعى «جاكوبي» (جويل إدغرتون)، في عالم يجمع البشر بمخلوقات أسطورية. يحمل الشريط توقيع المخرج ديفيد آير (صاحب Suicide Squad)، وهو من كتابة ماكس لانديس. أما لألحة الأبطال فتضم أيضاً: نومي رابيس، ولوسي فراي، وغيرهما. رصدت شبكة «نتفليكس» 90 مليون دولار لإنتاج هذا العمل، وقد انتهت عمليات التصوير في شباط (فبراير) الماضي، على أن يصبح جاهزاً للعرض في كانون الأوّل (ديسمبر) 2017.



براد بيت في أفغانستان

War Machine (آلة حرب) هي التجربة السينمائية الأولى التي يخوضها النجم الأميركي براد بيت (1963) بعد قضية طلاقه من أنجلينا جولي. هنا، يظهر بيت بشخصية الجنرال الأميركي دان مكماهون الذي يتم إرساله إلى أفغانستان لوقف الحرب هناك، قبل أن يكتشف أنه شخصياً يتعرّض لهجوم. ميزانية الشريط تقدّر بـ 60 مليون دولار، وهو يمزج بين السياسة والهجاء والكوميديا السوداء، ومن إخراج ديفيد ميشود، استناداً إلى كتاب The Operators لمايكل هاستينغز. يشارك في العمل كذلك أنتوني مايكل هال، وتوفر غريس، وويل بولتر، وتيلدا سوينتون، وآخرين. 26 أيار (مايو) المقبل هو موعد العرض الأوّل عبر «نتفليكس».



الإيرلندي بعيون سكورسيزي

أهم المشاريع السينمائية التي تعوّل عليها «نتفليكس» هي The Irishman (الإيرلندي) لمارتين سكورسيزي. لقاء مئة مليون دولار، استحوذت الشبكة على مشروع المخرج الحاصل على أوسكار، الذي سيجمع الممثلين روبرت دي نيرو وآل باتشينو. كتب ستيفين زايلتيان السيناريو بناءً على كتاب تشارلز برانت I Heard You Paint Houses، حول حياة القاتل المستأجر «فرانك شيران»، ويضم اعترافات الأخير بارتكاب جرائم معيّنة قبل وفاته في 2003. يبدأ التصوير في وقت لاحق من العام الحالي، ليُعرض في 2018 على أقل تقدير. إنّه التعاون التاسع بين دي نيرو وسكورسيزي، ويأتي بعد فيلمه Silence الذي خيّب الآمال في شبّاك التذاكر.

شرّعت البوابة لتقديم وجهة النظر الإسرائيلية عن القضية الفلسطينية

الأميركي راعي البقر الطيب والهندي الأحمر السيء، وتوصلها إلى جمهور أبعد بكثير من حدود الجليل والنقب.

في الأفلام الدرامية، أطلقت «نتفليكس» أخيراً «قصر الرمال»، وهو دفاع مرير عن وجهة النظر الأميركية في غزو العراق، يظهر جنود الإمبراطورية كمجموعة مراهقين أميركيين في رحلة، كلهم مميّزون وأبطال بشكل أو بآخر، يقاتلون في ظروف قاسية، ويستشهدون في عملية شجاعة لإصلاح تمديدات المياه لبلدة عراقية كانت قصفت بالخطأ. حتى لنكاد نبكي تعاطفاً مع هؤلاء الجنود المساكين، من دون أن نتذكر للحظة مليوناً ونصف مليون شهيد عراقي سقطوا بمعدل 3000 عراقي مقابل كل قتيل أميركي في ذلك الغزو الغاشم. هذا بالطبع من دون بقية الخسائر الهائلة التي تكبدها الشعب العراقي.

بالطبع تطول القائمة، لكن ما يجمعها أنها - من دون استثناء - نظام متكامل من السرد الأيديولوجي الأميركي نفسه الذي عودتنا عليه هوليوود منذ عقود، لكن في تعليب جديد يناسب روح العصر وثقافة التلقي (عبر الإنترنت) الجديدة.

«نتفليكس» ثورة في شكل صناعة الصورة، لكن الشكل حتماً يتبع الوظيفة كما يقول لو كوربوزييه رائد العمارة الحديثة. وهنا وظيفة «نتفليكس» ليست أقل من صنع «الحقيقة» كما تريدها الإمبراطورية، بينما ندفع نحن المستهلكين نقوداً كي نراها. بالمناسبة، متى الموسم الجديد من «بيت من ورق»؟